الطبيعة في أشعار النساء

د. ليلى محمد ناظم الحيالي
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كتبت رسائل جامعية والفت كتب متنوعة في الحديث عن الطبيعة في الشعر الجاهلي وفي شعر احد المشاهير أو الطبيعة الصامتة والمتحركة و غير ذلك من الموضوعات إلا أن البحث الذي سأكتبه الآن لم يكتب عنه سابقا لذا أردت الكتابة عن الطبيعة بشكل جديد وهو الطبيعة في ديوان أشعار النساء حين قرأت أشعار النساء بدقة متناهية وانعمت النظر في ابيات اشعارهن وجدت فيها معينا ثرا للطبيعة التي كانت المراة جزءا منها وما يحيط بها من ظروف بيئتها من ارض و نبات وحيوان وجماد وامطار وضياء ودموع وفرح والوان وحيوان كتبت بحثي بأسلوب جديد وبطريقة جديدة تختلف عما هو مالوف في بحوث الباحثين .

فقسمت البحث الى مباحث متعددة بحسب ما تيسر لى من المعلومات عن الطبيعة فى اشعار النساء وبحسب ما ورد فى شعرهن من المعاني فكان اوسع المباحث هو مبحث الحيوان وانواعه وصفاته ورموزه ودلالاته وكان المبحث الاول عن الطبيعة المحيطة فى حياة الشواعر من الطيور وانواعها.

ثم مبحث الحيوانات المفترسة ثم الخيل والابل والحيوانات الاخرى ثم مظاهر الطبيعة وكواكبها ثم مبحث الاشجار والجبال عجائب صنع الله تعالى ثم مبحث السلاح والسيوف ومبحث اخر عنوانه مظاهر الزينة والفرح ومبحث الالوان ومبحث الدموع وانهيته بمبحث الشيب و الشباب واخيرا الخاتمة ثم المصادر

من المصادر الاساسية التي اعتمدها البحث هو(ديوان اشعار النساء) مع مصادر اخرى .

الطبيعة المحيطة بحياة الشواعر

تتمثل الطبيعة المحيطة بحياة الشاعرة العربية في هذه المرحلة من حياتها في ظل الاسلام الحنيف بانواع متعددة من الحيوانات التي كانت جزءاً لايتجزأ من بيئة الشاعرة فذكرت في شعرها على سبيل الحقيقة او الرمز انواعا من الحيوانات التي اثرت في نفسها وذلك لتقريب الصورة الشعرية وتوضيحها حين تنشد شعرها امام الاخرين .

الطيور

فقد ذكرت الطيور واهمها طائر القطا وهو بحجم الحمام ، يضرب بها المثل بالاهتداء فيقال اهدى من قطا وسميت بذلك لثقل في مشيها و قيل سميت قطاة فحين شبهت الشاعرة المشي الهادي والخطو المتقارب بالقطا قالت هند [1]

مشي القطا الموافق

قيدي مع الموافق[2]

وذكرت الشاعرة الغراب وهو ذلك الطائر الاسود والذي يتشاءم العربي عند رؤيته له جناحان ومنقار طويل يتغذى على الحيوانات الصغيرة مثل الجرذان والفئران يضرب به المثل بالسواد والبعد والبكور والحذر فيقال(بكرت بكور الغراب) [3]

ويقال ارض لا يطير غرابها [4]

أي مخصبة و يقال طار غرابه [5]

أي شاب وحين يوصف شخص بالقوة فانه يشبه بالغراب قال الوليد بن عقبة يمدح السيدة صفية ويصفها بقوله [6]

وددنا ان امكم غراب

فكنتم شر طير في الطيور

وحين وصفت السيدة صفية بنت عبد المطلب اخاها الحمزة الشهيد ﷺ بشجاعته وقوته شبهته بالنسر وهو طائر قوي شرس حاد البصر ومن اشد الطيور وارفعها طيرانا واقواها

---

[1] الديوان ١٧٩

[2] ينظر لسان العرب (قطو)

[3] ينظر اللسان (غرب)

[4] م.ن

[5] م.ن

[6] ديوان اشعار النساء

جناحا تخافه كل الجوارح له منقار منقعف وله اظفار ولكنه لا يقوى على جمعها لحمل فريسته وكنيته ابو الابرد وابو مالك وانثاه يقال لها ام قشعم [1]

الا ليت شعري يوم ذاك واعظمي

الى اضبع ينتبنني و نسور

ووصفت صفية ابنها الزبير بن العوام ﷺ مشبهة اياه بالصقر وهو طائر من الجوارح الليلية طويل الساقين حديد البصر يضرب به المثل بالقوة وحدة البصر قالت : [2]

وابيك زبر ما بنكس احمق

لكنه صقر كريم معرق

وقد ورد اسم الطائر القمري على السنة كثير من الشواعر والقمري ضرب من الحمام حسن الصوت يرمز به للدلالة على الرقة والنعومة والحزن الشديد والتأسي بذكره قالت السيدة فاطمة بنت محمد (ﷺ٩) وهى تبكي اباها وترثيه وتصف حزنها لفقده [3]

واذا بكت قمرية فى ليلها

شجناً على غصن بكيت صباحي

وقالت السيدة عائشة ام المؤمنين ﷺ عند فقد النبي ﷺ [4]

واذا دعت قمرية شجنا لها

يوما على فنن دعوت صباحي

وذكرت الفراش في القصيدة نفسها للدلالة على الضعف والخور فقالت [5]

نشر الفراش علي ريش جناحه

فظللت بين سيوفه ورماح

---

[1] ينظر لسان العرب(نسر)

[2] الديوان ١٠٥

[3] شعر السيد فاطمة (مجلة المورد ١٩٦٦) ونسبت هذه الابيات لها والسيدة عائشة (رض) ولفاطمة بنت الاحجم

[4] الديوان ١٤٣

[5] الديوان ١٤٣

اما ام سنان المذحجية فقد ذكرت القمري رمزاً للرقة وجمال الصورة وشدة العاطفة وظلال الحزن الذي يكتنف مشاعرها الحزينة فقالت[1]

فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت

فوق الغصون حمامة قمريا

وذكرت هند بنت ابي سفيان (الفروج) وهو فرخ الدجاجة وهي ترقص ابنها الصغير فقالت [2]

فروجتان تلقطان حبا

وذكرت السيدة صفية الصقر حين شبهت ابنها الصغير فقالت [3]

كيف وجدت زبرا

أأقطاً حسبته ام تمرا

ام مشمعلا صقرا

فالطيور التي تردد اسمها على السنة الشواعر كانت تمثل البيئة التي احاطت بالشاعرة وهي القطا والغراب والنسر والصقر والحمام والقمري والفروج والفراش .

فكانت الشاعرة تستخدم هذه الالفاظ لتقريب الصورة والرمز لكثير من مشاعرها الحزينة او المفرحة و لكن بعفوية خالصة وبساطة ورقة غير مقصودة

الحيوانات المفترسة الاسد

ترددت اسماء الحيوانات المفترسة على السنة الشواعر للصفات الشديدة التي تتصف بها ولغرض تشبيه الابطال بها ووصفهم بالصفات التي تتناسب مع صفات تلك الكواسر فنجد انواع الحيوانات الصحراوية تذكرها المرأة في شعرها فكان اول الكواسر التي وردت في شعرها هو الاسد للدلالة على الشجاعة والجرأة والاقدام قالت السيدة صفية بنت عبد المطلب وهي ترثي اباها [4]

عظيم الحلم في نفر كرام

خضارمة ملاوثة اسود

---

[1] الديوان ١٩٩

[2] الديوان ١٦٤

[3] شعر صفية مجلة المورد ١٩٩٩ / ٩٦

[4] الديوان ١٠٠

وقالت في رثاء اخيها الحمزة ﷺ الذي استشهد يوم بدر الكبرى وقد مثل به [1]

ولا تسامي ان تطيلي البكا

على اسد الله في الهزة

فقد كان عزا لايتامـــــنا

وليث الملاحم في البـــزة

فهو اسد الله استشهد في سبيل الله مدافعا عن دين الله محاربا للكفر والضلالة ووصفته بليث الملاحم لانه كان يرمي بنفسه في وسط المعركة لا يبالي ولا يخاف عدوه فهو قـــوي شديد الباس مؤمن صابر مجاهد في سبيل نصرة الدين الحنيف

وقالت صفية ايضا [2]

على اسد الله الذي كان مدرها

يذود عن الاسلام كل كفور

وقد كان الرسول ﷺ قد منعها من رؤية اخيها وهي بهذه الصورة فقالـــت [3](ولِـــمَ وقـــد بلغني انه مثل به وذلك في الله) فما ارضانا بما كان من ذلك لاصبرن واحتسبن ان شاء الله)

اما صفية بنت مسافر فقد رثت قتلى المشركين يوم بدر الكبرى من اهل القليـــب مـــن رجال قريش [4] فوصفتهم بالشجاعة مستعينة بصفة الاسد في قوته وجراته والليث في اندفاعه وقد اخذته العزة بالاثم وهو يقاتل المسلمين قالت [5]

وما ليث غريف ذو

اظافير و اسنان

ابو شبلين وثاب

شديد البطش غرثان

---

[1] الديوان ١٠١

[2] الديوان ١٠٥

[3] ينظر طبقات ابن سعد ق ١ ج٨ ص ٣٣

[4] ينظر سيرة ابن هشام ٤٣/٣

[5] الديوان ١١٠

فهو في شجاعته كالاسد شديد البطش والطيش فلم يقدر ثمن هذه الشجاعة التي كانت تقوده الى نار جهنم ، اما الشاعرة ضباعة القشيرية (ام سلمة) زوجة هشام بن المغيرة فقد استخدمت لفظة (ضرغام) وهو الاسد الشجاع القوي شديد البأس رابض في عرينه يحمي اهله وعشيرته عند اشتداد الصراع وفي ساحة المعركة قالت [1]

اجرا من ضرغامه في اجمة
يحمي غداة الروع عند الملحمة

ووصفت اروى بنت الحارث الحمزة ﷺ وعلي ﷺ بالليث لشجاعتهما واستقامتهما وتمسكهما بالمبادئ السامية فقالت[2]

بكل قطاع حسام يفري
حمزة ليثي وعلي صقري

والليث والصقر كلاهما مضرب الامثال في القوة والشجاعة ولما افتخرت عاتكة بنت عبد المطلب بشجاعة ابن اخيها ومكانته في قومها قالت[3]

كان حريق النار لمع ضباتها
اذا ما تعاطتها الليوث المساعب[4]

الا بابي يوم اللقاء محمد
اذا عض مرعوب الحروب الغوارب[5]

فهي تذكر الرؤيا التي رأتها قبل معركة بدر الكبرى وانتشر الخبر بين القوم ، اما عمرة بنت عبد ود فقد وصفت اخويها بالبسالة والكرم وشبهتهما بالاسود لبطولتهما واندفاعهما في المعركة فقالت[6]

---

[1] الديوان ٩٩
[2] الديوان ٦٤
[3] الديوان ١٢١
[4] المساعب جمع مسعب وهو السائل والفعل مسعب أي سال
[5] الغوارب اعالي الموج والغارب اعلى كل شئ
[6] الديوان ١٣٥

اسدان في ضيق المكر تجاولا

وكلاهما كفء كريم باسل

وهذه خزانة بنت خالد بن قرط في ارض فتوحات الشام تفتخر بابناء قومها و تصف شجاعتهم و تقول[1]

هم فتية غر الوجوه اعزة

ليوث لدى الهيجا شعث الجماجم

فقومها شجعان كالاسود فتيان في ريعان الشباب بيض الوجوه لانهم رفعوا رؤوسهم عاليا وعززوا مكانة قومهم وفي الحروب اصبحت جماجمهم شعثا لكثرة الغبار الذي يعلو رؤسهم بسبب تطاير النقع الذي يثار في ارض المعركة .

وهذه ام خالد بن الوليد ذلك البطل الشجاع وسيف الله المسلول تصفه بالبأس والشدة وهو اشجع من الاسد في اقدامه واندفاعه وسط المعركة قالت[2]

اشجاع فانت اشجع من ليث

صهر ابي جهل ابي اشبال

ووصفت البيضاء ام حكيم بنت عبد المطلب الذي ترنو اليه عيون الناظرات اعجابا به حين يقف شامخا شجاعا في ارض المعركة فهو ليث في ساحة المواجهة فقالت[3]

وليثا حين تشتجر العوالي

ترق له عيون الناظرات

ووصفت امراة من خثعم معركة دارت بين فريقين مسلمين و مشركين فتلاقت الاسود التي تقب قبيبا[4]

جاؤا لبيضتهم فلاقوا دونها

اسدا تقب له السيوف قبيبا [5]

---

[1] الديوان ٨٢

[2] الديوان ١٩٥

[3] الديوان ١٩٣

[4] الديوان ٢٠٧

[5] القب من السيوف هو القاطع والقباب من السيوف هو القاطع

كان ذلك يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة حين حطمت اصنام المشركين فهي تصف شجاعة المسلمين وانتصارهم وصفت ابنة عمرو بن يثربي شجاعة الفارس حين يقف في ساحة المعركة وكانه اسد الاسود في وسط الغابة وهو مضرج بدماء ضحاياه فقالت[1]

لكنه من لا ينال بقتله

اسد الاسود و فارس الفرسان

وقد وصفت هند بنت عتبة اخاها واباها الذين قتلا كافرين في يوم بدر الكبرى وذلك قبل اسلامها فقالت[2]

اسدان لا يتذللان ولا يرام حماهما

وقالت ايضا [3]

والحرب تعلوكم بشابوب برد تقدم اقداما غليكم كالاسد

الخيل والحيوانات الاخرى

وصفت الشاعرة الفارس المقدام ووصفت اخرى الخيل التي يمتطيها الفرسان واسماءها وصفاتها فهي ام (المقربة)او التي تعدو (برازيق) أي جماعات وتصف الفارس بالبهجة او (الهمام) وقد تكون الخيل (قبا) أي نحيفة البطن او(حوراء)او(انها تشق الارض) او (النجيبة) او تصف خيل الاعداء (المعطلة) او (المطية) والشاعرة في وصفها للفارس والفرس تصف حالهم في اثناء الشدائد وترسم صورة لحالتهم النفسية ومشاعرهم واقدامهم او تخاذلهم هجومهم او ارتدادهم وتصف الفرس وهو يعدو سريعا او متخاذلا فتستعير له صفات الانسان حين يفرح ويحزن فوصفت الشاعرة ام البراء بنت صفوان الفارس المقدام بانه يسرج جواده الذي يعدو سريعا ويشمر عن ساعديه حين تشمر الحرب عن ساقيها فلا يخاف ولا يهاب فقالت [4]

اسرج جوادك مسرعا ومشمرا

للحرب غير معرد لفرار

---

[1] الديوان ١٨٥

[2] الديوان ١٧٧

[3] الديوان ١٧٩

[4] الديوان ١٨٩

وحين رثت الصحابية هند بنت اثاثة رسول الله ﷺ قالت[1]

وانك خير من ركب المطايا

و اكرمهم اذا نسبوا جدودا

وقالت اروى بنت الحارث وهي ترثي الرسول ﷺ [2]

رزئنا خير من ركب المطايا

وفارسها ومن ركب السفينا

ورثت الشاعرة ام البراء بنت صفوان الامام علي ﷺ فقالت [3]

يا خير من ركب المطية ومن مشى

فوق التراب لمحتف او ناعل

ووصفت عمرة بنت دريد الخيول ذات السرعة العنيفة التي تخرج صباحا مبكرة وتعود ظهرا او مساءً في وقت الغارات والغزوات وصفت الخيل بالقوة والفروسية وهي تهجم على الجحفل البطي ذي الرائحة الكريهة فقالت[4]

اذا لصبحهم غبا وظاهرة

حين استقرت نواهم جحفل ذفر

وقالت ايضا في رثاء اخيها [5]

عفيت اثار خيلك بعد اين

بذي بقر الى فيف النهاق

فاثار الخيل اندرست في اماكن كان يرتادها وله فيها انتصارات كانت في ذاكرة الشاعرة اما عمرة بنت مرداس فقد وصفت اباها مفتخرة به و بشجاعته فهو يثير النقع وغبار المعركة حين تعدو سنابك خيله في سيرها الى العدو بين سرعة وبطء وتصف خيلها بانها كانت قبا

[1] الديوان ١٦٨

[2] الديوان ٦٥

[3]

[4] الديوان ١٣١

[5] الديوان ١٣١

نحيلة البطن سريعة الجري وارسانها عند عودتها لا مائلة ولا منحرفة وليس فيها عيب يقلل من حركتها او يعيقها عن الركض قالت [1]

كان ملقى المساحي في سنابكها

بين الخبو الى سفر اذا ركبوا

فيها الذلول وفيها كل معترض

يغني ضغينته التعداء والخبب

قبا تنازعها الارسان قافلة

لاحقات ولا ميل ولا ثلب

وقد تحدثت امراة من قريش عن غضب الله تعالى على الكافر ين وانتقامه منهم ووظفت الكناية للتعبير عن ذلك فقالت [2]

قد غلبت خيل الله خيل اللات

والله احق بالثبات

وحين هاجمت خولة بنت الازور جيش الروم وهم يقاتلون جيوش المسلمين وهي تشاركهم القتال والاستبسال فوصفتهم بالاعلاج وهم الحمير لانهم لايدركون معنى الاسلام ومعنى الايمان ولا يميزون بين الحق والباطل فتقول [3]

اعلاج سوء فسق عنات

ينلن منا اعظم الشتات

فالشاعرة تصفهم بالحمير لعدم ادراكهم وتصف شجاعة الفارس بانها تشتت العدو اعظم الشتات بما تحمله من ايمان وتوكل على الله تعالى وقالت مرة اخرى تشيع الحماس في صفوف المجاهدين بانها من النسوة اللاتي يضحين بارواحهن ويلثمن الخفاق والرايات التي تحملها المطايا وتنتصر على عدوها فقالت [4]

لئن رجعوا يوما الى دار عزهم

لثمن خفاقا للمطايا وقبلنا

---

[1] الديوان ١٣٧

[2] الديوان ٢٠٨

[3] الديوان ٨٥

[4] الديوان ١٣٨

وتصف عمرة بنت مرداس فرس اخيها بانها تثير الغبار وتشق الارض في الاماكن البعيدة في العراء فلا يراها الناظر فتغيب عن الاعين لسرعتها فقالت [1]

تشق سنابكها بالعرى

وتطرح بالطرف عنها الغيوبا

اما قتيلة بنت النضر بن الحارث فقد رثت اباها وفي رواية اخاها الذي كان كافرا يهزأ بالاسلام والمسلمين ووصفت رحلتها الى النبي ﷺ تريد الاعتذار منه وتطلب العفو ووصفت الناقة التي حملتها الى الرسول ﷺ بانها (نجائب تخفق) وذلك لسرعتها واصالتها فقالت [2]

يا راكبا ان الاثيل مظنة من صبح خامسة وانت موفق

ابلغ به ميتا بان تحية ما ان تزال بها النجائب تخفق

وقد وصفت ميسون بنت بجدل الحياة البدوية التي كانت تفضلها على حياة البلاط في دار الخلافة في دمشق والترف الذي تعيش فيه وهي زوجة الخليفة فصورت المنظر الذي يمثل حياتها في البادية في صورة الابل البكر الفتي الذي تسبقه الضعائن في رحلتها وهو لقوته وصبره وتحمله يوصف بالمصعب فكانه

يحمي هذه الضعائن ويسير خلفها قالت ميسون [3]

وبكر يتبع الاضعان صعب احب الي من هر الوف

وخرق من بني عمي نحيف احب الي من علج عليف

ووصفت شاعرة اخرى اسمها ام فروة ابنها الذي كان فارسا شجاعا وبطلا هماما ترك خيله معطلة تقاد وهو تحت التراب فرثته بقولها [4]

اما تري يا ام فروة خيلنا منها معطلة تقاد وضلع

ووصفت ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب اباها بانه خيرمن ركب المطايا شرفا ونسبا وجودا فقالت [5]

وبكي خير من ركب المطايا ابا الخير تيار الفرات

---

[1] الديوان ١٣٧

[2] الديوان ١٤٧

[3] الديوان ١٥٨

[4] الديوان ٢٠٠

[5] الديوان ١٩٣

اما الجعفية فقد وصفت عزيزا عليها بالقوة وشدة العزيمة وقيادته للركب قبل ان يقتل فقالت[1]

لقد غادر الركب الذين تحملوا بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا

فالركب غادروا قائدهم وتركوا ذلك المكان(روذة) وأسفوا لفقده

اما السيدة عائشة ام المؤمنين ﷺ فقد وصفت مالك الابل بحقه في الميراث اما العمل الصالح فيرثه الانسان المؤمن بعد مماته فقالت[2]

كل ذي ابل موروثها وكل ذي سلب مسلوب

اما عمرة بنت مرداس فقد وصفت نفسها وهي ترثي اخاها بالبعير الذي فقد صاحبه حيران متحسرا فقالت [3]

وما كنت اخشى ان اكون كانني بعيرا اذا ينعى اخي تحسرا

وحين تصف الشاعرة الفرس او الابل التي فقدت صاحبها تصور مشاعر ذلك الحيوان بصورة فنية رائعة فتصف المه وسكونه او احجامه او غير ذلك من المشاعر .

رثت عاتكة بنت زيد زوجها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، ووصفت خيله ومراكبه التي كان يمتطيها في قتاله للمشركين والكفار بانها اوحشت وشعرت بالكابة لفقده وذلك بحركات تدل على تاثرها وشعورها بالالم والحزن فقالت [4]

امست مراكبه اوحشت وقد كان يركبها زينها

فاستعارت الشاعرة صفات الانسان (الوحشة والكابة) والحقتها بمراكب المرثي الذي كان يزينها ويبعث الامان في نفسها والطمانينة

اما عمرة بنت مرداس فقد وصفت فرس اخيها الذي كان بطلا هماما بـ(الحوراء) وكبر حجمها وعلو دفتيها فهو يمتطيها بدون عناء او جموح وهي تمشي على قوائم ثلاث وهذه الصفة تجعلها سريعة الجري فضلا عن كونها جرداء لا يعيق

لايعيق سيرَها شعرُها ولا يزعج فارسَها ،وهذه الافراس والجنائب السابقات غادرها أخو الشاعرة وتركها صامتة، لا راعي لها من بعده،فقالت عمره:[5]

---

[1] الديوان ٧٨

[2] الديوان ١٢٧

[3] الديوان ١٣٩

[4] الديوان ١١٨

[5] الديوان ١٣٨ .

وحوراءُ في القوم مظلومـــة

كأن على دفتيها كثيبـــا

تيممتها غير مستأمـــــر

فعرقبتها وهززت القضيبا

فظلّت تكوس على اكرع

ثلاث وغادرت اخرى خضيبـــا[1]

فرام يُعدّي على اجـــــردٍ

أمونٍ وغادرت رحلاً جنيبـــــا[2]

وتصف حبيبة بنت الضحاك زوجة العباس بن مرداس الفارس الذي يُقدم علـــى المـــوت تصف افراسه بـــ (المقربات) وهي الافراس والخيل البرائـــع ، أي البارعـــة فـــي ســـرعتها وهجومها ، ومشيها فتقول : [2]

بكل شديد الوقع عضب يقوده

إلى الموت هام المقربات البرائع

سيوفهم عزّ الذليل وخيلهـــم

سهام الاعادي في الامور القطائع

اما اسماء بنت ابي بكر الصديق ﷺ فقد وصفت زوجها الفارس بـــ (البهمـــة) وهـــو الشديد الشجاع الذي يستبهم ماتاه على اقرانه [3] فقالت : [4]

غدر ابن جرموز بفارس بهمة

يوم اللقاء وكان غير معرد

ووصفت خيله بقولها :[5]

اذا نبت بالمقل الحماليق

والخيل تعدو زيما برازيق

---

[1] تكوس : تمشي على ثلاث قوائم .

[2] أمونٍ : المطية ، الرحل الجنيب الفرس العظيمة

[3] النسان (بهم)

[4] الديوان ٧٠

[5] الديون ٧٠

والبرازيق جماعات الناس ، وهي كناية عن شدتها وسرعة مسيرها وكثرة عددها .

وهذا كل ما يمثل صفات الفارس والفرس والابل والركائب ، والرموز التي وصفتها الشاعرة للدلالة على البطولة والفروسية .

اما عن الحيوانات الاخرى التي ذكرتها المرأة في شعرها في عصر صدر الاسلام فهي : الغزال والنعام والكبش وغير ذلك ، وهذه لا شك رموز وصفتها المرأة للتعبير عن مشاعرها وعن الطبيعة التي احاطت بها وقد تكون هذه الرموز وصفا حقيقيا للبيئة .

رثت الشاعرة ام الهيثم النخعية الامام علي ﷺ وصورت حال الناس حين استشهد ، بالنعام الذي يجول في البلاد بلا طعام ولا معين ، واصبحوا في قحط شديد وجفاف بعيد ، فهم حيارى ، قلقون ، هائمون لا يقر لهم قرار ، فقالت : [1]

كان الناس اذ فقدوا علياً

نعام جال في بلد سنينا

والشاعرة (قطية بنت بشر الكلابية) قالت في هجائها لوالي البصرة عام ١٠ هـ وهي تذكر الحمير الضعيفة التي لا فائدة ترجى منها :[2]

طلادم كحمر الابك

لا ضرع فيها ولا مذكي

وهذه شاعرة اخرى تذكر (الكيش) في شعرها وهي ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب كانت ترقص ابنها وتشجعه على خوض الصعاب قالت: [3]

يضرب الكبش النعر

يضربه حتى يخر[3]

وقد كنّت الشاعرة بالكبش النعر و الكبش المضطرب الجامح عن مواجهة ابنها الصعاب وتحمله مشاق الحياة منذ طفولته .

اما الشاعرة حبُيبة بنت عتيق فقد عبرت عن بيئتها بتوظيف اسم (الاروى) للدلالة على البطولة ، وكناية عن الشجاعة في وصف الفارس والاروى والاراوي هي لجماعة ضأن الجبل

---

[1] الديون ٢٠٢

[2] الديوان ١٥٠

[3] النعر : نعر الحمار او الفرس أي دخلت النعرة في انفه فاضطرب .

، وهذا الحيوان يمثل محيط الشاعرة ولا سيما ان بلاد الحجاز فيها جبال العسير ، وهي الطبيعة التي تعيشها هذه الشاعرة فقالت : [1]

فإنا حجارٌ في الملمات معقـل
كما يعقل الأروي رؤوس جبالها

أما عن ذكر الغزال فقد وصف الشاعر عتبة بن الحباب ابنة عمه ريا التي كان يحبها ، و شبه جمالها بالغزال فقال : [2]

ما ان يزال غزال فيه يظلمني
يهوي الى مسجد الاحزاب منتقبا

وقد ذكر حيوان الصحراء الوفي (الكلب) في كثير من الاشعار فلما حطم المسلمون اوثان العرب انشدت ام ذر الغفاري ابياتاً تذكر فيها (الكلب) وهو حيوان على الرغم من فائدته ووفائه لصاحبه فهو حيوان حقير ، والبيت الذي فيه كلب لا تدخله الملائكة ، كما هو معروف فوصفته الشاعرة بانه اذل الصنم ولم يستطع ذلك الصنم ان يحمي نفسه من اذى الكلب فقالت [3]

رأيت الكلب سامك حط خسف
فلم يمنع قفاك اليوم كلبا

فالشاعرة تبرأت من الاصنام واعلنت اسلامها .

اما منفوسة بنت زيد الفوراس فقد وصفت الكلب وهو رفيق ساكني الصحراء ، وعواؤه دليل على الضيافة فهو يشير الى موطن الكرم او قد يشير الى البخل فيمنع الناس عن الحضور

الى ذلك المكان بسبب البخل قالت : [4]

---

[1] الديون ١٩٤
[2] الديوان ٩١
[3] الديوان ١٩٥
[4] الديوان ١٥٦

ونشلي عليه الكلب عند محله

ونبدي له الحرمان ثم نزيد

وقد ذكر الكلب والقط والهر في شعر ميسون بنت بحدل حين عبرت عن غربتها بتلك الرموز للدلالة على الوحشة والبعد عن اهلها وموطن صباها : [1]

وبكر يتبع الاضعان صعب

احب الي من هر الـــــــوف

وخرق من بني عمي نحيف

احب الي من علج عليـــــف

وكلب ينبح الطراق عني

احب الي من قط اليـــــف

اما الحشرات والحيات فقد ورد ذكرها في شعر عمرة بنت مرداس حين رثت اخاها ووصفت افراسه النظيفة وشبهتها بـــ (حيات الاباء) لانها هزيلة البطن ، رشيقة ، سريعة الجري فلا تستطيع الحشرات ان تقف عليها ، وهي ملساء جرداء ،ورمزت بذلك الى عناية اخيها بالبطولة والفروسية والاصالة فقالت:[2]

فهن قب كحيات الابـــاء

يحذين تيتاً ولا يحذين قردانا [3]

[1] الديوان ١٥٧

[2] الديوان ١٣٧

[3] القردان جمع قرادة وهي دويبة تتعلق بظهر البعير وهي كالقمل للانسان .

وهذه شاعرة اخرى وصفت حيوان الصحراء في وسط الرمال وبين طيات التراب ، وبين صخور الجبال ذكرت (الحية الصماء) وقد رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم المرحمة يوم فتح مكة فقالت : [1]

إنه مطرق يدبر لنا الامر

سكونا كالحية الصماء

مظاهر الطبيعة وكواكبها

في ديوان اشعار النساء يمكن ان نتصور الحياة الطبيعية التي تعيشها المرأة في الجزيرة بكل مظاهرها ، فقد مر ذكر الحيوانات وانواعها ، وهي جزء من البيئة ، وعنصر مهم من عناصر حياة الصحراء ، وهذه مظاهر الطبيعة الاخرى التي تتمثل بالكواكب والنجوم والافلاك ، عبرت عنها المرأة بكلام عفوي غير مقصود ، وبلاغة العربي في صلب حياته ، وفصاحته في اصالتها .

ففي هذا المجال صورت المرأة بيئتها في ليلها ونهارها ، في شمسها وبدرها ، في كواكبها وامطارها بتفاؤلها وتشاؤمها .

فالمرأة مثقفة بثقافة عصرها كانت تعرف الكواكب وانواعها وتوظفها للتعبير عن معانيها وصورها ، فهي تعرف اوقات ظهور بعض الكواكب في السماء واختفائها فهذه شاعرة من مؤيدي معاوية في وقعة صفين تنشد: [2]

شربت مع الجوزاء كأساً ردية

واخرى من الشعرى اذا ما استقلت

فهي تذكر الجوزاء ثم تذكر الشعرى ، ومن المعروف ان هذا الكوكب جاء ذكره في القران الكريم في قوله تعالى [3] ((والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن

---

[1] الديوان ٢٠٨ الشعر لامرأة اعرابية من قريش لم يعرف اسمها .

[2] الديوان ٢٠٦

[3] سورة النجم الآية ١-٤

الهوى إن هو الاّ وحي يوحى)) وقوله تعالى [1] ((وأنه هو اغنى وأقنى . وأنه هو رب الشعرى)) .

وهذه شاعرة اخرى تذكر النجوم والقمرين وهما الشمس والقمر ، على سبيل الكناية ، للدلالة على بعد المسافة ، او استحالة حصول الامر ، قالت ابنة عمرو بن يثربي في الرثاء : [2]

ما نيل عمرو والحوادث جمة

حتى ينال النجم والقمران

وكثيراً ما تذكر الشاعرة الفجر والغداة والرواح ، وهي اوقات الغارات في اولها واخرها ، فيكر الفرسان على اعدائهم في وقت الصباح الباكر في الغداة ، ويعودون مساءً في وقت الرواح ،قالت الصحابية هند بنت اثاثة وهي تهجو هنداً بنت عتبة : [3]

صحبك الله غداة الفجر

ملها شمبين الطوال الزهر

وقد تذكر الشاعرة برد الشتاء للدلالة على قساوة الأمر وشدته ، أو تذكر احمرار الافق في السماء وصعوبة نزول المطر الذي يخلف الجفاف والقحط ، او تذكر الرياح العاتية ، ذات الاصوات المخيفة ، قالت هند بنت اثاثة في الرثاء :[4]

وبكيه للأقوام في كل شتوة

اذا احمر آفاق السماء من المحل

وبكيه للأيتام والريح زفزفٌ

وتشبيب قدر طالما ازبدت تغلي

[1] سورة النجم الآية ٥٠

[2] الديوان ١٨٥

[3] الديوان ١٦٨

[4] الديوان ١٦٩

وقد تذكر الشاعرة نفسها كرم المرثي حين تصف النيران الموقدة للطهي ، والقرى والضيافة التي كان يتصف بها المرثي ، فقد خمدت تلك النيران ، وخبا ضوؤها وانطفأت جذوتها ، فقد كان يقدم القرى للمحتاج وطالب القرى في المساء ، فقالت :[1]

فأن تصبح النيران قد مات نورها

فقد كان يذكيهن بالخطب الجزل

لطارق ليل او لملتمس القرى

ومستنبح اضحى لديه على رسل

ونرى وصفا عميقا للطبيعة في شعر ام الهيثم النخعية التي ذكرت اسماء الكواكب التي تراقبها في الليل ، وتصف طبيعة حياتها فذكرت (بنات نعش) وهي كواكب في السماء وتسمى (بنات نعش الكبرى) وهي سبعة كواكب تشاهد من جهة القطب الشمالي ، وبقربها سبعة اخرى تسمى (بنات نعش الصغرى) والنجمة التي رسمت كبيرة هي النجمة القطبية التي يستدل بها على نقطة القطب الشمالي قالت ام الهيثم :[2]

اراقب في السماء بنات نعش

ولو اسطيع كنت لهن حادي

كأن الليل أوثق جانباه

واوسطه بامراس شدادِ

تجافى مضجعي وشبا سهادي

وليلي ما يقر من السهادِ

وتذكر شاعرة اخرى البدر وتشبه الوجه الحسن بنوره ، وجمال ضيائه فقالت اروى بنت الحارث بن عبد المطلب في رثاء الامام علي (رض) :[3]

اذا استقبلت وجه ابي حسين

رايت البدر راع الناظرينا

---

[1] الديوان ١٦٩

[2] الديوان ٢٠١

[3] الديوان ٦٥

وتذكر هند بنت عتبة الكواكب فتقول :[1]

من كل غيـــث في السنـــين

اذا الكـواكـــب خاويـــة

فهي تذكر الكرم في السنين الممحلة التي يختفي نور كواكبها وقت الجفاف ، وذلك قبل دخولها في الاسلام . وقالت في رثاء ابيها واخيها الكافرين بعد قتلهما في معركة بدر الكبرى :[2]

ابي وعمي وشقيق بكـري

اخي الذي كان كضوء البدر

اما النبي ﷺ عند هجرته الشريفة فقد استقبلته نسوة في المدينة بالاناشيد والدفوف فرحاً به وتعزيزاً له ، وتهنئة للمسلمين بنصره فشبهنه بالبدر وقلن :[3]

طلع البـــدر علينـــا مـن ثنيـــات الـــــوداع

وهذه امرأة من اليمن تبتهج بانتصار العرب على عدوهم الكافر في معركة القادسية فتقول :[4]

وحيتك عني الشمس عند طلوعها

وحياك عني كل ناجٍ مفرد

وهذه شاعرة ترثي الامام علي ﷺ وتذكر الليل وذهاب النوم عن عينيها ، وتتابع الهموم ، التي تلاحقها حزنا عليه وشبهته بالهلال في وسط السماء وتحيط به الكواكب قالت ام سنان المذحجية :[5]

عزب الرقاد فمقلتي ما ترقد

والليل يصدر بالهموم ويورد

هذا علي كالهلال يحفه

وسط السماء من الكواكب اسعدُ

---

[1] الديوان ١٧٧

[2] الديوان ١٧٩

[3] الديوان ٢١٥

[4] الديوان ٢٠٧ امراة غير معروفة النسب

[5] الديوان ١٩٩

وقد تذكر امرأة الايام والوقائع والاشهر والسنين ، فتذكر اسماء معارك المسلمين ، وتوثقها بالتواريخ في الشهر الحرام او شهر الصيام او معركة بدر او معركة أحد ، وقد كان لثقافة المراة في صدر الاسلام اثر واضح في الفاظها ومعانيها ، قالت اروى بنت الحارث بن عبد المطلب ترثي عليا ﷺ :[1]

افي الشهر الحرم فجعتمونا

بخير الناس طراً اجمعينا

وقد ورد ذكر الاشهر الحرُم في القرآن الكريم لعظمة منزلتها الدينية عند العرب قبل الاسلام وبعده قال تعالى :[2]

((يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كثير وصد عن سبيل الله وكفر به))

وتذكر هند بنت عتبة يوم أحد – قبل اسلامها – حين استشهد فيه الصحابي الجليل حمزة بن عبد المطلب اخو النبي ﷺ من الرضاعة وعمه ، فقالت هند : [3]

شفيتُ من حمزة نفسي بأحد

حين بقرت بطنه عن الكبد

فكانت حاقدة على الاسلام والمسلمين فمثلت بكبد الحمزة ، ولولا ان تكون سنة بعد النبي فكانت حاقدة على الاسلام والمسلمين فمثلت بكبد الحمزة ، ولولا ان تكون سنة بعد النبي ﷺ لمثل بالكافرين من بعده .

فالشاعرة تذكر يوما تاريخيا ومعركة من معارك المسلمين في (جبل أحد) .

---

[1] الديوان ٦٥

[2] سورة البقرة ٢١٧

[3] الديوان ١٧٩

اما هند بنت اثاثة فقد ذكرتها بانتصار المسلمين يوم (بدر الكبرى) فقالت : [1]

نحن جزيناكم بيوم بـــدر

والحرب بعد الحرب ذات سعر

وتذكر ام الهيثم النخعية شهر رمضان الكريم في رثائها للامام علي كرم الله وجهه فتقول :[2]

افي شهر الصيام فجعتمونا

بخير الناس طراّ اجمعينـــا

وقد ذكر اسم رمضان في سورة البقرة في قوله تعالى :[3]

((شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)) .

وحين تتأثر المرأة بالبيئة الطبيعية تذكر الامطار والمياه والانهار والبحار والغيث والغيوم والجداول والوديان ، وهي في كل ذلك عفوية غير متكلفة الاّ آن المتلقي يتبين له ما ترمز إليه الشاعرة من رموز طبيعية .

قالت هند بنت الحارث بن عبد المطلب في رثاء النبي محمد ﷺ :[4]

يا عين جودي بدمع منكِ وابتدري

كما تنزل ماء الغيث فانثعبا

أو فيض غربٍ على عادية طُويتْ

في جدول خرق بالماء قد سَرِبا

فالغروب عرق في العين لا ينقطع دمعه وكل فيضة من الدمع (غرب) [5] ، والعادي شاطئ الوادي وجانبه ، وقد رمزت الشاعرة بهذه الالفاظ الى الحزن الشديد والكآبة التي تعتريها وتؤثر في نفوس المؤمنين جميعا بسبب فقد الرسول ﷺ .

وقد ورد ذكر العادية في القرآن الكريم في قوله تعالى :[1]

---

[1] الديوان ١٦٨

[2] الديوان٢٠١

[3] سورة البقرة ١٨٥

[4] الديوان ١٦٩

[5] ينظر المخصص ١٢٧/١ (غرب)

((والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحاً)) .

فالشاعرة تتأثر بطبيعة الحياة في صدر الاسلام وثقافتها ، فتذكر الدموع والمياه وفيض الجداول وجريان المياه وذلك كله لتقريب الصورة الحزينة والدموع واخيراً فان هند بنت عبد المطلب تذكر البحار والبراري ولاسيما ارض الحجاز والبحر الاحمر والصحراء والجبال قالت:[٢]

وأهل البرّ والأبحار طرّاً

فلم تخطئ مصيبته وحيدا

الاشجار والجبال وعجائب صنع الله تعالى

فقد أعجبت الشاعرة بقدرة الخالق تعالى فعزفت على أوتار شعرها نغمات جميلة تمثلت بذكر الشجرة والأغصان والزهر .

قالت هند بنت عتبة في رثاء أخويها الكافرين وشبهتهما بالغصنين من اغصان الشجر :٣

مَن حسَّ لي الاخوين
كالغصنين أو مَنْ راهما
قرمان لا يتظلمان ولا يرام حماهما

ويلي على أبوي والـ قبر الذي ما وراهما
لا مثل كهلي في الكهو ل ولا فتى كفتاهما
ابني ربيعة لا يملّ النا س من ذكراهما

[١] سورة العاديات ١-
[٢] الديوان ١٧٠
[٣] الديوان ١٧٧

والشاعرة تذكر اخويها في البيت الأول ، وفي الاخير ابني ربيعة أي عتبة وشيبة ابني ربيعة اللذين قتلا يوم بدر الكبرى وهذه هي رواية الاغاني وانساب الاشراف [1] ، والمعنى ان هذين القريبين كانا يظللان على حياة الشاعرة مثل اغصان الشجر وفيئة الوارف .

وهذه الشاعرة تشبه البطل الذي تمدحه وترثيه بالجبل العالي ، الثابت الاركان ، وهو عتبة بن ربيعة الذي قتل كافراً وهو ابو الشاعرة فتقول :[2]

وكان لنا جبلاً راسياً جميل المراة كثير العشب

السلاح والسيوف

اما عن السلاح الذي يمثل جزءاً من بيئة الشاعرة فقد ذكرته في شعرها سلباً وايجاباً ، في فرحها وفي مآسيها ، فهي حين تصف بطلاً تذكر سلاحه الجبار ، وفتكه بعدوه وتصفه بالفروسية وتنعته بالشجاعة ، وتصف السيف بصفات مختلفة ونعوت متعددة وردت معانيها وألفاظها في معجمات اللغة العربية على سبيل الاستعارة .

فالشاعرة ام البراء بنت صفوان وفدت على معاوية بن ابي سفيان بعد وقعة صفين ، مع من وفد إليه من النساء . قالت أم البراء بنت صفوان :[3]

يا عمرو دونك صارمٌ ذا رونقٍ

عضب المهزة ليس بالخوار

فقد ذكرت الشاعرة احدى صفات السيف القوي وهي (صفة الصرامة) فقالت (دونك صارمٌ) أي سيف قاطع والحاكم الذي يستبد برايه يسمى صارماً أي انه ماضٍ في كل امر ، وليس عنده مسامحة في العقاب والتاديب . ثم وصفته بصفة اخرى هي (العضب) ، ومعنى ذلك القاطع وهي لفظة مستعارة من (عضب الكبش) أي شق اذنه ، فاستعارت الشاعرة هاتين الصفتين للدلالة على شدة ذلك السيف .

---

[1] ينظر الاغاني ١٤٢٤/٤ طبعة دار الشعب وانساب الاشراف ١٥٣/١ .

[2] الديوان ١٧٨

[3] الديوان ١٨٩

وهذه ام الهيثم النخعية وهي من الشواعر اللاتي حضرن وقعة صفين ، استعارت اللفظة نفسها حين وصفت قوة السيف وشدته فقالت :[1]

بكل مهند عضبٍ وجردٍ

عليهن الكماة مسوميـنا

واضافت هذه الشاعرة صفة اخرى للسيف وهي صفة

صفة (المهند) وهو السيف الحاد المشحوذ ، والسيف الهندواني هو السيف المنسوب الى الهند، والسيف المطبوع من حديد الهند [2] .

والشاعرة ام جرير بن عطية الخطفي كانت ترقص ابنها جريراً وهو طفل فتقول :٣

مثل الحسام العضب ما مس فصل

يعدل ذا الميل ولما يعتدل

فهي تصف طفلها وتشجعه ليكون شجاعاً يحمل سيفا حساماً عضباً .

اما ام حبيب بنت العاص فقد ذكرت (سيوف فارس) وهي ترقص ابنها الصغير وتدعو الله تعالى ان يجنبه سيوف فارس ويحفظه منها فقالت :[4]

احفظ جبيراً من سيوف فـارس

وجنبنه عـارض الوسـاوس

وهذه هند بنت عتبة تصف سيوف اقربائها من الذين قتلوا يوم بدر الكبرى بانها سـيوف هندية متينة الصنع الا ان الله تعالى خذلها بمقتلهم ، قالت :[5]

سيفـين هنـديين سـن القبر حـدّ ضُباهما

وتشبه هذين القتيلين بالسيفين القويين وتستخدم في لفظها احدى لـوازم الـسيف وهـي (ضباهما) وهي مشتقة من (ضبيب السيف) أي حدّه . وقالت هند ايضاً :[1]

---

[1] الديوان ٢٠١

[2] ينظر لسان العرب (هند)

[3] الديوان ١٩٠

[4] الديوان ١٩٢

[5] الديوان ١٧٧

يذيقونه حدّ اسيافهم يعلونه بعدما قد عطب

(والعطب) او العطل هو توقف السيف عن عمله وعطب الفرس أي انكسر او هلك ،

وفي بيت اخر تذكر هند السيف بصفة اخرى هي صفة (البتر) وهو القطع ، والسيف البتار هو السيف القاطع قالت :[٢]

ويهاً بني عبد الدار ويهاً حمـاة الادبـار

ضربـا بكـل بتار

وهذه شاعرة اخرى من الكوفة تهجو رجلا بانه يقاتل بالمرهفات وهي السيوف المحددة المرتقة الحدّ قالت:[٣]

يحطط اشراف النساء ويتقي

بانيابهن مرهفات النيازك.

والنيازك هي الرماح القصيرة .

وقد تستخدم المرأة عنصراً اخر من مكونات بيئتها من الاسلحة والمعدات فتذكر الرماح التي يستخدمها قومها في اوقات الشدة ، والرمح هو عود طويل في رأسه حربة ، يضرب بـه المثل في القوة وشدة البأس فقد روي في المثل (كسروا بينهم رمحاً) أي وقع بينهم شر [٤] .

ويقال اخذت الابل رمحها أي درت كانها تمنع نحرها [٥] . ومثل اخر (رمينـا بيـومٍ كظـل الرمح) [٦] ، قالت هند تشبه قريبيها بالرمحين :[٧] رمحين خطيين في كبد السماء تراهما.

[١] الديوان ١٧٨

[٢] الديوان ١٧٧

[٣] الديوان ٢٠٦

[٤] ينظر المنجد (رمح)

[٥] م. ن

[٦] م.ن

[٧] الديوان ١٧٧

مظاهر الزينة والفرح

حين تذكر الوقائع التاريخية في أشعار النساء ودموعهن وإحزانهن فهذا لايعني أن المرأة دائمة الحزن ، متواصلة البكاء ، ظاهرة الكآبة ، ففي حياتها ، مظاهر للفرح تدل على الطبيعة التي تحيط بها ، فتذكر الطيب والحناء والحلي التي ترتديها ، وتذكر العيوب التي إصابتها بعد مرور السنين ، والأحزان والأسى الذي يعقبه ظهور الشيب والكبر والعجز ، فيؤثر في نفسها ، وتحين ساعة رحيلها .

قالت شاعرة من قريش [1] تذكر فتى كانت تحبه وتتمنى رؤيته ، ولو بنظرة عين ، فتذكر اسماء الحلي التي تلبسها ، مثل الوشاح والدملج :[2]

الا ليتني اشري وشاحي ودملجي

بنظرة عينٍ من سعيد بن الأسود

اما هند بنت عتبة فقد ذكرت المسك والطيب ومظاهر الاناقة ، والملابس الموشاة بالدر و المجوهرات وهي تعلو جبل أحد قبل بدء المعركة فقالت :[3]

والمسك في المفارق والدرّ في المخانق

فقومها كانوا يحاربون كي يدخلوا النار يوم القيامة وهي تحرضهم على طلب الثأر .

وهذه امرأة عبيد الله بن العباس ترثي ابنيها اللذين قتلا وتشبههما بالدرّ الذي يضيء ما حوله وينبثق نوره من الصدف الذي تشظى عنه وهي صورة مركبة ترسمها الشاعرة باحرف حزينة ، وكلمات عفوية فتقول :[4]

يا من احس بنيي اللذين هما

كالدرتين تشظى عنهما الصدفُ

---

[1] الديوان ٢٠٩ (غير معروفة النسب)

[2] الديوان ٢٠٩

[3] الديوان ١٧٧

[4] الديوان ٢٠٥

وقد وردت لفظة الدر في قوله عز وجل في سورة النورقال تعالى :[1] ((مثل نوره كمصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية))

ومن مظاهر الطبيعة التي تحيط بالمرأة زوال الشباب واختفاء جمالها بعد مرور السنين ، وغزو الشيب واشتعاله في راسها ، وانتهاء الربيع ثم الخريف وبدء الشتاء وفيه نهاية المطاف ، فكثيرا ما تذكر المرأة تفجر الشيب ، وشروق النور في رأسها بسبب اليأس والحزن الذي يعتريها لاي سبب من الاسباب . قالت اروى بنت الحارث في رثاء النبي ﷺ

لأمر هدني واذل ركني

وشيب بعد حدتها قروني

والمرأة تبكي فرحاً وتبكي حزناً فهي اكثر القوم دموعاً ولكن ليست دموع التماسيح وانما هي العبرات والحسرات .

الالوان

تأثرت المرأة العربية بالقرآن الكريم لفظاً ومعنى فاستخدمت اللون للتعبير عن كثير من الامور ، وقد ورد ذكر اللون في قوله تعالى [2] ((ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود)) وقوله [3] ((إنها ترمي يشرر كالقصر كأنه جمالة صفرٌ)) .

وقد استخدمت العرأة العربية الالوان رموزاً للتعبير عن معانٍ متعددة ، كاللون الابيض والاحمر والاسود والجون وغير ذلك من الالوان التي كانت جزءاً من كيانها .

هذه عاتكة بنت زيد العدوية ترثي زوجها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وتذكر اللون الابيض وتقول :[4]

فجعني فيروز لا درّ درّة بأبيض تالٍ للقرآن مُجيبِ

---

[1] سورة النور ٣٥

[2] سورة فاطر الآية ٢٧

[3] سورة المرسلات الآية ٢٣

[4] الديوان ١١٧

وفي رثاء عمر ﷺ ايضاً رمزت باللون الاحمر للدلالة على القوة والشدة ، فكان استشهاده أمراً جللاً إذ بقيت زوجته في شدة وحسرة فقالت :[1]

اذا شرعت فيه الاسنة خاضها

الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

وهذه عمرة بنت مرداس بنت الشاعرة الخنساء ترثي ابنها الاقيصر في قولها :٢

واعتد للأعداء بيضاء صفوة

كمتن غديرِ الروضة المتصببِ

ومطرداً لدن الكعوب وصارماً

حساماً متى يعل الضريبة تقصبِ

وحين رثت عمرة بنت مرداس اخاها وذكرت (الحوراء) وهو اللون الابيض الصافي فقالت :٣

وحوراء في القوم مظلومة كأن على دقتيها كثيبا

تيممتها غير مستأمـــر فعرقبتها وهززت القضيبا

فظلت تكوس على اكرع ثلاثٍ وغادرت اخرى خضيبا

وفي هذه الابيات تصف عمرة الناقة التي نحرت بغير علـــة ، وهـــذه الناقـــة الخـــضيبة الحمراء تعد من اصبر الابل على الهواجر ، كان اخو الشاعرة يمتطي هذه الناقـــة فـــي قتالـــه لعدوه .

اما السيدة فاطمة بنت محمد ﷺ فقد وصفت اليوم الكئيب الذي توفي فيه ابوها ﷺ بانـــه (مغبر) فقالت :[4]

اغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار واظلم العصران

---

[1] م.ن ١١٨ وفي رواية اخرى : حتى يترك الموت أحمرا

[2] م.ن ١٣٧

[3] م.ن ١٣٨

[4] شعر فاطمة مجلة المورد ١٩٩٦ ص٤٢

فان الضياء منذ الصباح الباكر وحتى المساء كانت تحسه مغبرا مظلما فقد نوره بـذهاب المصطفى ﷺ .

وحين رثت هند بنت اثاثة شهداء بدر رمزت باللون الاصفر للأمر العظيم الـذي شـهده المسلمون ودفنوا شهداءهم في موضع اسمه (الصفراء) وهو بين مكة والمدينة فقالت :[1]

لقد ضمن الصفراء مجداً وسؤدداً وحلماً اصيلا وافر اللبّ والعقل

اما نائلة بنت الحسحاس حين كانت تغني في عرس احدى الجواري فقد رمزت للحنطة (بالذهب الاحمر) فقالت :[2]

اتيناكم أتيناكم فحيّونا تحييكم

لولا الذهب الاحمر ما حلت بواديكم

وهذه الشاعرة اروى ترثي أباها الحارث بن عبد الطلب وتصف جوده وتـذكر كرمـه ، وتشيد بصفاته وتسامحه ، وخلقه النبيل ، فتشبهه باللون الابيض الصافي الذي يدل على النقـاء والطهر والعفة في تعامله مع مجتمعه وانسانيته ومروءته ، تجاه من يحتاج الى معونته فتقول :[3]

ما زال أبيض مكراماً لأسرته

رحب المحاسن في خصبٍ وفي لينِ

الدموع

من اهم ما يميز المرأة دموعها ، وتطرفها في عواطفها فهي اما رقيقـة حنـون ، واما قاسية متجبرة ، وقد وصفها القدماء حين تبكي بدموع التماسيح ، ولكن المرأة العربيـة اختلقـت دموعها ،وصدقت مشاعرها ، فكانت صادقة في تعبيرها ، حيّة فـي مـشاعرها معبـرة عـن ضميرها بدموع تنقل اثارها الى المتلقي فيعلم حينئذ بحرارة ألمها ، وقوة اشجانها ، فهي تبكي

[1] ينظر الديوان ١٦٩

[2] الديوان ١٥٩

[3] الديوان ٦٥

من فقدته وتعبر عن بكائها بالدموع السواجم او الدموع الهتون ، او دمع الاجفان او الدموع التسكاب او الدمعة السهود او العبرة او الدمعة الغزيرة الاسراب .

ونجد ذلك واضحا في مطالع القصائد النسوية او بدايات القطع الشعرية .

قالت السيدة فاطمة بنت محمد ﷺ وهي ترثي اباها المصطفى :[1]

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيتْ

حتى الممات بسجل غير منزور

وقالت ايضاً :[2]

فلاَ جعلنّ الحزن بعدك مؤنسي

ولاَ جعلنّ الدمع فيك وشاحيا

وحين رثت السيدة صفية بنت عبد المطلب (رض) اباها ساعة احتضاره قالت :[3]

أرقت لصوتِ نائحة بليـــــلِ **على رجل بقارعه الصعيد**

ففاضت عند ذكركم دموعي **على خدي كمنحدر الغريدِ**

وحين رثت الرسول ﷺ قالت :[4]

عـــيني جودا بدمعة تسكاب **للـنبي المطـهـــر الأواب**

واندبي المصطـفى فعمي وخصي **بدمـــــوع غزيـرة الأسراب**

وقالت السيدة صفية ايضاً :[5]

عين جودي بدمعة وسهود **واندبي خير هالك مفقود**

وقالت ايضاً:[6]

فعيني مالكِ لا تدمعين **وحق لدمعك يستسكب**

---

[1] شعر السيدة فاطمة مجلة المورد ١٩٩٦

[2] المصدر نفسه .

[3] ديوان صفية بنت عبد المطلب مجلة المورد ١٩٩٩ ص٩٦

[4] المصدر نفسه ص٨٧

[5] ديوان السيد صفية / مجلة لمورد ١٩٩٩

[6] م.ن

وقالت ايضاً : [1]

ما لعيني لا تجودان ريّا

قد رزينا خير البرية حيّا

وقالت:[2]

لفقد رسول الله إذ حان يومه

فيا عين جودي بالدموع السواجم

اما عاتكة بن عبد المطلب فقد رثت النبي (ص) بقولها :٣

عيني جودا طوال الدهر وانهمرا

سكباً وسحاً بدمع غير تعذيرِ

يا عين فاسحنفري بالدمع واحتفلي

حتى الممات بسجل غير منزور

ورثت زينب بنت العوام بن خويلد الاسدي ابنها فقالت :٤

اعيني جودا بالدمع فأفرغا

على رجل طلق اليدين كريم

وحين رثت صفية بنت مسافر اهل القليب الذين قتلوا يوم بدر كافرين قالت :٥

الايامن لعينٍ دمعها للتبكي ودمعها فانِ

كغربي دالجٍ يسقي خلال الغيث الدانِ

اما خزانة بنت خالد بن قرط فقد رثت الشهداء يوم فتح الحيرة وكانوا خمسمئة وثلاثين شهيداً فقالت :[6]

فيا عين جودي بالدموع السواجم

فقد شرعت فينا سيوف الاعاجم

---

[1] م.ن

[2] م.ن

[3] الديوان ١٢٢

[4] الديوان ٩٢

[5] الديوان ١٠٩

[6] الديوان

وحين أُسرت خولة بنت الازور في فتوح افريقيا وصفت احزانها والامها بقولها :[1]

جلّ المصاب وزاد الويلُ والحرب

وكان دمع من الاجفان ينسكب

ومن المراثي المبكيات شعرها الذي انشدته في قتالها للروم :[2]

انـي انْ يقـال مضى ضرارٌ

لباكية يمنسجم هتونِ

والسجمان سيلان الدمع كله قليله وكثيره .[3]

اما عاتكة بنت زيد بن تفيل فقد شبهت الدموع الغزار بالمزن حين بكت الامام الحسين بن علـي بن أبي طالب ﷺ فقالت :[4]

وحسينا فلا عدمتُ حسينا

اقصدته اسنة الاعداء

غادرته بكربلاء صريعاً

جادت المزن في ذرى كربلاء

الشيب والشباب

نجد في شعر الشواعر العرب ذكراً خاصاً وعناية فائقة في وصف الشيب وذهاب الشباب ، وقد يذكر ذلك حقيقة او مجازا للتعبير عن حلول زمن الوقار ، مع ذهـاب الـشباب والفـرح والنشاط ، وهو امر يعبر عن وجودهم في ظل احداث حياتهم فرحاً او حزنا او يكون رمزاً لامر اخر . قالت اروى بنت الحارث بن عبد المطلب في رثاء النبي ﷺ :[5]

لأمر هدني وأذل ركني وشيب بعد جدتها قروني

فالشيب كناية عن شدة الحزن ومرارة الالم قال تعالى في سورة مريم [6]

---

[1] م.ن ٨٢

[2] م.ن ٨٥

[3] ينظر المخصص ١٢٦/١

[4] م.ن ١١٦

[5] الديوان ٦٤

[6] سورة مريم الآية ٤

((قال ربي اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا)) ، للدلالة على كبر سن النبي زكريا عليه السلام اما صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، فقد عبرت عن حزنها لفقده ﷺ بقولها:[1]

إذ راينا ان النبي صريع فأشاب القذال أي مشيب

والقذال هو مؤخر الرأس ، فمعنى ذلك ان الحزن جعل رأسها يمتلئ شيبا حتى مؤخرة الرأس ، لان الشيب يظهر اول الامر على جانبي الرأس ثم ينتشر في الرأس بعد ذلك حتى مؤخرته ، وذلك كناية عن الحسرة وشدة الألم .

وقالت السيدة صفية رضي الله عنها ايضاً :[2]

فشيبني وما شابت لبداتي

فأمسى الرأس مني كالعسيب

فالعسيب هو جريد النخل ، فقد شاب راس صفية ولم يصب الشيب رؤوس من كانت بسنها او معاصرة لها من النساء فاهملت العناية بشعرها فاصبح كالعسيب .

وقالت صفية ايضاً :[3]

لتبكيك شمطاء مضرورة إذا حجب الناس لا تحجب

والشمطاء هي التي اختلط سواد شعرها ببياض الشيب

وقالت ايضاً : [4]

ليبكيك شيخ ابو ولدةٍ يطوف بعوقته اشيب

جاء في المعجم المخصص لإبن سيدة شيب الحزن رأسه وبرأسه ، والاشيب الذي استوى بياضه وسواده او قارب [5]

---

[1] ديوان صفية ٨٦

[2]

[3] ديوان صفية ٨٣

[4] م . ن

[5] ينظر المخصص ٧٦/١

وقالت السيدة صفية ايضاً : [1]

أشاب ذؤابتي وأذل ركني بكاؤك فاطم الميت الفقيدا

اما هند بنت عتبه فقد هجت أخاها الذي اصبح مسلماً صحابياً قبل اسلامها : [2]

اما شكرت اباً رباك في صغرٍ حتى شببت شباباً غير مجحون

فهي تذكر شباب اخيها الذي عرف معنى الاسلام واعتنقه ودافع عنه .

وقالت ام الهيثم النخعية في رثاء زوج امامه بنت زينب بنت محمد ﷺ : [3]

أشاب ذؤابتي واطال حزني امامةُ حين فارقت القرينا

أما زوجة حنظلة بن الربيع خليفة كتاب الرسول ﷺ وابن عم اكثم بن صيقي ، وكان حنظلة الكاتب قد قتل في (الرها) في ارض الفتوحات ، فرثته بقولها : [4]

يا عجب الدهر لمحزوقة تبكي على ذي شيبته شاحب

وإن تسأليني اليوم ما شفني اخبرك قولاً ليس بالكاذب

إن سواد الرأس اودى به وجدي على حنظلة الكاذب

[1] الديوان ص ٨٦

[2] الديوان ١٨٠

[3] الديوان ٢٠٢

[4] الديوان ٢٠٣